بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب تعدد القراءة
واحتمالات المعنى في معلقة امرئ القيس

حسام أحمد هاشم

مدرس اللغة العربية في كلية القانون / جامعة البصرة

مدخل:

للغة الشعر خصائصها ومميزاتها ، فالشعر مستوى من مستويات الكلام لا يشترط فيه الصحة وحدها وموافقة سنن اللغة وقوانينها ، بل يطلب فيه التأثير أيضاً [١].

فالشعر كما يقول ابن جني " موضع اضطرار أو موقف اعتذار وكثيراً ما يحرف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المثل عن أوضاع صيغها لأجله "[٢].

ولا يختلف الدارسون في أن تناول الأدب يكون في النظر إلى لغته باعتبار أن الأدب استعمال خاص للغة لكنهم يختلفون في قراءة هذا الاستعمال اللغوي ، واللغة نظام من الرموز يضم أنظمة وظيفتها تنظيم التعبير باللغة، ولكي يكون التعبير عن طريق هذه الأنظمة واضحا وهو الغاية من اللغة يكون لكل نظام ضوابط يلتزم بها الناطق بتلك اللغة فإذا استطاع الخروج على بعضها فهو لا يستطيع الخروج عليها جميعا و إلا خرج على اللغة نفسها وخلق لغة خاصة ، وهو مالا يقبله أهل اللغة ويرفضون الاستماع إليه بعدم الانتباه إلى ما يكتبه .

فاللغة يتلقاها الأديب وغيره من بيئته لكن الأدب استعمال خاص للغة كما ذكرت ، فلا بد من أن يكون للأدب فسحة من الحرية في استعمال هذه اللغة ليكون لاستعماله خصائص متميزة ، ومجال حرية الأديب في استعمال اللغة هو ما عُدّ خصائص أسلوبية ، فلكل أديب مجال أسلوبي يستعمله على وفق قدرته وتمكنه من اللغة ، وإبداع الأديب يأتي من قدرته على استعمال اللغة واستغلال طاقاتها وإمكانياتها بما يأتي به من صور للاستعمال الجديد ، ولعل قضية احتمالات المعنى وتعدد الوجوه والقراءات من أبرز ظواهر الاستعمال الشعري أو لغة الشعر .

وعلى الرغم من وجود هذه الظاهرة في الشعر على نحو واسع ومثير للانتباه فإن الأسباب التي تقف وراءها متنوعة ومتعددة يرجع بعضها إلى طبيعة الاستعمال اللغوي بمستوياته جميعها أي ما يخص الكلمة المفردة أو طريقة تأليف الكلام وصياغته اللغوية . وقد يتقصد بعضها الشاعر ويعمد إليه طلباً للإثارة أو لإعمال ذهن المتلقي وجلب انتباهه إلى شعره ، وقد يفعل ذلك سعياً منه الى التفرد وخرق المألوف من الاستعمال اللغوي ، وقد يفعل ذلك قاصداً الألغاز والتعمية نتيجة تأثره بظروف اجتماعية معينة أو إرضاء لمطالب أخرى ، قد تكون سياسية أو اجتماعية... الخ .

---

[١] . ينظر مناهج البحث اللغوي: ١٠١ .
[٢] . الخصائص: ٣/ ١٩١.

ويترتب على هذا أن يكون الإشكال اللغوي أو سبب تعدد القراءة عفوياً منسجماً مع لغة الشاعر وطبيعته وظروف نشأته التي حكمت لغته الشعرية وأضفت عليها طابعها الخاص ، أو يكون مقصوداً يعمد إليه الشاعر من خلال استعماله اللغوي الواعي لأحد الأسباب السابقة أو غيرها من الأسباب الأخرى .

وأياً كان السبب في تعدد القراءة والمعنى الذي يحتمله التركيب فإن النقاد واللغويين قد وقفوا من هذه الظاهرة مواقف متباينة تراوحت بين المدح والذم .

فعدها بعضهم جزءاً من لغة الشعر وطبيعته وسبيلاً من سبل التصرف في الاستعمال . وعدها بعضهم معايب ومثالب قد تكون عند بعضهم سبباً كافياً لاستبعاد هذا أو ذاك من حدود صنعة الشعر وذريعة لعدم الاعتراف به وما كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) للآمدي (ت ٣٧٠هـ) إلا مثال واحد من أمثلة كثيرة على هذه النزعة [١].

وفي هذا البحث نحاول تقصي أبيات معلقة امرئ القيس التي انتابها الإشكال وتعددت وجوه قراءتها ، محاولين تحديد طبيعة هذا الإشكال وبيانها وهل كان السبب فيها الاستعمال اللغوي أم الصياغة الملتبسة أم عمد إليها الشاعر لسبب آخر غير اللغة .

ويلاحظ أن أغلب شعر امرئ القيس والمعلقة تحديداً يتصف بالوضوح ولا يخرج أغلب شعره عن نطاق الاستعمال اللغوي المألوف لبيئته وعصره ، إن كان ذلك فيما يخص المفردات المستعملة في شعره أو فيما يخص التراكيب والجمل .

ومع هذا لم يخلُ شعر امرئ القيس من أبيات انتابها الإشكال وكانت عرضة للتأويل وتعدد القراءة ، ومنها بعض أبيات معلقته التي هي موضوع بحثنا ودراستنا .

إن الإشكالات اللفظية واللغوية هي السبب في تعدد القراءة ذلك إن اللفظ هو الطريق الذي يتوصل من خلاله إلى المعنى ويتحقق الإفهام من خلاله وأي تعقيد في اللفظ والصياغة ينسحب على المعنى ، ويدخل ضمن هذا الحذف والاختصار مع غياب القرينة اللغوية الدالة على المحذوف والمبينة للمعنى المراد .

وأغلب ما يدخل على الشعر من تعدد المعاني والقراءة يرجع إلى اللفظ والصياغة اللغوية يقول ابن رشيق : " اللفظ جسم روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح وكذلك إن

---

[١] . ينظر على سبيل المثال الموازنة: ١١٥ وما بعدها .

ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر الحظ كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كله وفسد ، بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ،لأنا لا نجد روحاً في غير جسم البتة "[1].

ويقول عبدالقاهر الجرجاني معلقاً على بعض الأبيات التي عاب عليها فساد نظمها ومنها بيت الفرزدق .

وما مثله في الناس إلاَّ مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

وبيت أبي تمام :

ثانية في كبد السماء ولم يكن كاثنين ثان إذ هما في الغار

وقوله أيضاً :

يدي لمن شاء رهنٌ لم يذق جرعاً من راحتيك درى ما الصابُ والعسلُ[2]

" وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة فساد التأليف ، أن الفساد والخلل كانا من أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب ، وضع في تقديم أو تأخير أو حذفٍ وإضمار أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم " [3].

وقد بدا لنا واضحاً من خلال النظر في أبيات المعلقة أنَّ سبب الإشكال وتعدد القراءة واحتمال المعنى وجد السبيل إليها من خلال اللفظ ، ونعني بذلك المفردة أو الكلمة الواحدة كما نعني به الجملة أو التركيب بشكل عام ، وهو ما يمكن أن نعبر عنه أيضاً بطريقة بناء البيت الشعري أو طريقة صياغته اللغوية .

ولا شك في أهمية اللغة في تحليل هذه الأبيات ، فضلاً عن المعرفة الأدبية . ولا يمكن أن نفهم الشعر وغيرهُ من النصوص الأدبية الأخرى إلا من خلال الإفادة من الثقافتين اللغوية والأدبية ، وهذا هو السبيل الأمثل في التعامل معها تحليلاً ودراسة ، وحسبنا لهذا مثلاً أن أغلب من تصدى لشرح المعلقات بشكل خاص والشعر بشكل عام وتناوله بالنقد والتقويم ، هم بالأساس

---

[1] . العمدة :١ / ١٣١ .
[2] . ينظر دلائل الإعجاز: ٨٣-٨٤ .
[3] . المصدر نفسه: ٨٤ .

لغويون محترفون وأدباء بارعون لهم حفظ ودراية واسعة في المجالين كليهما . أمثال أبي بكر الانباري (ت ٣٢٨هـ) . وأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) . وأبي بكر البطليوسي (ت٤٩٤هـ) ، والخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ، وغيرهم . وهذا يتوافق مع طبيعة الأدب وحقيقته بوصفه استعمالاً لغوياً رفيعاً ، ومستوىً راقياً من مستويات اللغة . ذلك أن علاقة المبدع بالنص تختلف كل الاختلاف عن علاقة المتكلم العادي به ، " لأن الثاني يعبر بما يقتضيه المتعارف عليه من العبارات ، أما اللغة بالنسبة للأول فهي نظرية ورؤية قوامها اللغة ذاتها " [١].

ومن هنا كانت الدراسات النقدية والأدبية الحديثة ، تتخذ من علم اللغة أو اللسانيات أساساً ومنطلقاً لها ، لأنه الأداة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تحليل الرسالة الأدبية والكشف عن مضمونها [٢].

وأخيرا أود أن أنوه إلى أنني قد اعتمدت نسخة(محمد أبو الفضل إبراهيم) في ضبط الأبيات الشعرية في متن البحث، فإذا ذكر الديوان في الهامش فالمقصود به نسخة أبو الفضل إبراهيم، أما الروايات الأخرى فقد أشرت إليها في الهامش.

---

[١] . البلاغة والأسلوبية: ١٥٧ .

[٢] . ينظر : الأسلوبية والأسلوب: ٣٨ وما بعدها .

الأبيات المشكلة في المعلقة :

يعد مطلع المعلقة :

قِفَا نَبكِ من ذِكرى حَبيبٍ وَمُنزِلِ

بسِقْطِ الّلوى بين الدَّخولِ وحَومَلِ [١]

أول الأبيات المشكلة في المعلقة ، وسبب الإشكال وتعدد القراءة فيه يرجع الى أمرين :

الأول : استعمال (الضمير) وذلك في قوله (قفا) .

الثاني : تحديد متعلق الجار والمجرور (بسقط اللوى) . وكلا السببين لغوي .

أما الأول : وهو استعمال الضمير في قوله (قفا) : فيرجع إلى أن ضمير الاثنين يحتمل أن يكون خاطب رفيقين له على وجه الحقيقة وهذا مما لا نظر فيه كما يقول أبو بكر الأنباري .

والثاني : أن يكون خاطب رفيقاً واحداً وثنى ، لأن العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين ، فيقولون للرجل : قوما واركبا ، وقد ورد هذا أيضا في قوله تعالى مخاطباً مالك خازن جهنم : " القيا في جهنم كلَّ كفار عنيد " .سورة ق /الآية ٢٤ فثنى وإنما يخاطب واحداً [٢].

وسبب هذا الاحتمال هو قوله فيما بعد :

أحارِ ترى برقاً كأن وميضَهُ

كلمعِ اليَدَين في حبيٍّ مُكلَّلِ[٣]

فقوله (أحارِ) يدل على أنه يخاطب رفيقاً واحداً وليس رفيقين على الحقيقة وقد روي البيت " أعنّي "[٤] ، وروي " أصاحِ "[٥] أيضا وكل هذه الروايات تدل على أنه يخاطب رفيقا واحدا كما أوضحنا .

وقد فعل هذا امرؤ القيس في أبيات أخرى في غير المعلقة كما في قوله :

خليليَّ قوما في عطالة فانظرا أناراً ترى من نحو مابين أم برقاً

فقال خليليَّ فثنى ، ثم قال : أناراً ترى فوحد [٦].

---

[١] . الديوان : ٨ .

[٢] . ينظر : شرح القصائد السبع: ١٦ .

[٣] . الديوان : ٢٤ ،و شرح القصائد السبع: ١٧ .

[٤] - الديوان : ٨٣ ، شرح محمد إبراهيم الحضرمي .

[٥] - الديوان : ١١٦ ، رواية وشرح الدكتور عمر فاروق الطباع .

[٦] .ينظر : شرح القصائد السبع ١٦ . ولم أعثر عليه في الديوان .

وفي قوله أيضاً :

خليليَّ مُرّا بي على أمِ جُندبِ نُقَصّلِ لُباناتِ الفؤاد المعذبِ

ثم قال بعد :

ألمَ تريانيَ كُلّما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لَم تطيَّبِ [١]

ففي هذه الرواية لا توجد أي إشكالات لأنه استعمل المثنى (ترياني) التي تدل على صاحبيه ، أما في رواية أخرى فيقول " ألم ترَ أني كلما على التوحيد " [٢].

والعلة في هذا الاستعمال كما يقول أبو بكر الانباري : " أن أقل أعوان الرجل في إبله وماله اثنان ، وأقل الرفقة الثلاث فجرى كلام الرجل على ما قد ألف من خطابه لصاحبيه "[٣].

ويذكر أبو بكر الانباري أمثلة أخرى لهذا الاستعمال عند غير امرئ القيس من الشعراء كقول الشاعر :

إن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تدعاني أحم عرضاً ممنعاً

أبيت على باب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الطير نزعاً

وقوله :

فقلتُ لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله واجَتزَّ شيحاً

وقوله :

أبا واصل فاكسوهما حليتها فإنكما إن تفعلا فتيانِ

بما قامتا أو تغلواكم فغاليا وان ترخصا فهو الذي ترداِنِ

فقال: أبا واصل ثم ثنى فقال : فإنكما [٤].

وهناك من ذهب في البيت مذهباً آخر وهو " أن يكون أراد (قفن) بالنون ، فأبدل الألف من النون وأجرى الوصل على الوقف ، وأكثر ما يكون هذا في الوقف . وربما أجري الوصل عليه . وكان الحجاج إذا أمر بقتل رجل قال : (يا حرسي اضربا عنقه) قال أبو بكر : أراد : اضربَنْ فأبدل الألف من النون . وقال الله عز وجل : " لنسفعاً بالناصية " – سورة العلق /الآية ١٥ وقال في موضع آخر و((ليكونا من الصاغرين))–سورة يوسف/ آية ٣٢ فالوقف عليها لنسفعاً وليكونا " [٥].

---

[١] . الديوان : ٤١ .
[٢] - الديوان : ١٢٠ ، برواية الحضرمي .
[٣] . شرح القصائد السبع: ١٦ .
[٤] . ينظر : شرح القصائد السبع: ١٦ .
[٥] . شرح القصائد السبع :١٧ . وينظر : شرح القصائد المشهورات: ٤ .

وذكر آخرون أنه " ثنى لأنه أراد، قف ، قف ، بتكرير الأمر ثم جمعها في لفظة واحدة " [١].والرأيان الأخيران لا يسلمان من التكلف[٢].

وأما الثانية : وهي بيان متعلق الجار والمجرور (بسقط) فقد اختلف فيه أيضاً على ثلاثة أقوال :

الأول : أن يكون قوله : (بسقط) متعلقاً بالمنزل ويكون التقدير : من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللِّوى .

الثاني : أن يكون متعلقاً بقوله : (نبكِ) على معنى نبك بسقط اللِّوى .

الثالث : أن يكون متعلقاً بقوله : (قفا) ويكون التقدير : قفا بسقط اللِّوى ، ذلك أن النحويين أجازوا : كلْ نكرمْك طعامنا ، على معنى : كل طعامنا نكرمك [٣].

وكل من هذه الوجوه الثلاثة محتمل ولا يخرج عن السياق والموضوع وليس هناك ما يشير إلى تحديد واحدٍ منها على حساب الآخر .

ويمكننا أن نلاحظ أن سبب تعدد القراءة في المسألة الأولى ، يرجع إلى تعدد الاستعمال ، أو ما يصطلح عليه اليوم بتعدد المعنى الوظيفي [٤] واستعمال الضمير في غير ما وضع له في الأصل فيما يخص العدد أو التذكير والتأنيث ، معروف عند العرب وله أمثلة في القرآن الكريم أيضاً [٥] .

والسبب في الثانية هو التصرف في الكلام من خلال التقديم والتأخير ، وعدم وجود قرينة لفظية أو معنوية تحدد المقصود من الأوجه الثلاثة المحتملة .

ومن الإشكالين السابقين نرى أن سبب الاحتمال وتعدد القراءة في البيت لغوي محض يرجع إلى طريقة استعمال الشاعر للغة وتوظيفه لها .

ومن هذه الأبيات المشكلة قوله :

فتُوضِحَ فالمِقراة لِم يَعْفُ رسمُها لِمَا نسجتْها من جَنُوبٍ وشَمْألِ[٦]

---

[١] . شرح القصائد السبع: ١٧ . وينظر : شرح القصائد المشهورات :٤ .
[٢] . ينظر : شرح القصائد المشهورات: ٤ .
[٣] . ينظر : شرح القصائد السبع :١٩ .
[٤] . ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :١٦٣ وما بعدها .
[٥] . ينظر : المزهر: ٣٣٣/١ وما بعدها .
[٦] . الديوان :٨ .

إذ يفهم قوله (لم يعف رسمها لما نسجتها) معانٍ عدة ، منها ما نقل عن الأصمعي من أن معناه : لم يدرس لما نسجته من الجنوب والشمال فهو باق ، فنحن نحزن ولو عفا لاسترحنا " [١].

ويدعم أصحاب هذا الرأي قولهم ببيت ابن أحمر :

ألا ليت المنازل قد بلينا

فلا يرمين عن شُزُنٍ حزينا

إذ المعنى : ليتها قد بليت حتى لا ترمي قلوبنا بالأحزان والأوجاع [٢].

وهناك قول آخر في البيت ينسب إلى الأصمعي أيضاً وهو " أن الريح أقبلت وأدبرت على هذه المواضع حتى عفتها وأبقت منها الأثر أو الرسم "[٣].

وقيل فيه أيضاً أن المعنى : " لم يعف رسمها للريح وحدها إنما عفا للمطر والريح وغير ذلك من مر الدهور به ، وهو دارس في المعنى "[٤].

ويرى آخرون أن المعنى : " لم يعف رسمها لاختلاف هاتين الريحين ، ولو دامت عليه واحدة لعفا ، لأن الريح الواحدة تدرس الأثر والريحان لا تدرسانه ، لأن الريح الواحدة تسفي على الرسم فيدرس ، وإذا اعتورته ريحان فسفت عليه أحداهما فغطته ثم هبت الأخرى كشفت عن الرسم ما سفت الأولى والحجة في ذلك قول ذي الرمة :

من دمنةٍ نصفت عنها الصبا سفعاً كما تنشر بعد الطية الكتبُ

سيلاً من الدَّعص اغشته معارفها نكباءُ تسحبُ أعلاه فينسحبُ[٥]

أي أن " النكباء ألبست معارف هذه الدمنة سيلاً من الدَّعص فسفته عنها الصبا ، فكذلك هذا الرسم ألبسته الجنوب التراب والرمل فكشفته عنه الشمال ، فمعنى هذا القول أن الرسم لم يدرس "[٦] .

إن طبيعة الصياغة اللغوية للبيت السابق تترك الباب مفتوحاً أمام هذه الاحتمالات والوجوه ، وليس هناك ما يبين لنا أيا من هذه المعاني أو الوجوه هو ما قصده الشاعر على وجه التحديد .

---

١ . شرح القصائد السبع: ٢٠ .
٢ . ينظر : شرح القصائد السبع :٢٠ .
٣ . شرح القصائد السبع:٢٠ .
٤ . شرح القصائد السبع :٢١ .
٥ . شرح القصائد السبع: ٢١ .
٦ . شرح القصائد السبع: ٢١ .

ومثل هذا كثير في الشعر ، وبيت امرئ القيس السابق شبيه من جهة احتمال المعنى وضده بالبيت الذي ذكره ابن رشيق القيرواني في العمدة :

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها يا رب سلَّط عليها الذئب والُضبعا [١]

" قيل إنهما إذا اجتمعا لم يؤذيا وشغل كل واحد منهما بالآخر . وإذا تفرقا آذيا ، وقيل معناه في الدعاء عليها قتل الذئب الأحياء عبثاً . وأكل الضبع الأموات ، فلم يبق منها بقية "[٢] .

ومما أشكل أيضاً قوله :

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ معشرٍ عليَّ حراصٍ لو يُشِرّونَ مقتِلي [٣]

فعلى هذه الرواية لا يوجد أي إشكال في فهم البيت فـ(يُشِرون) أي يظهرون .

أما رواية " يُسرّون "[٤] ففيها أكثر من احتمال للمعنى وسبب الإشكال أن كلمة (يسرون) ، تستعمل حيناً ويراد بها (الإخفاء) وتستعمل حيناً آخر ويراد بها الإظهار .

يقول أبو بكر الانباري : " يقال أسررت الثوب إذا شررَّته وأظهرته ، ويسرّون حرف من الأضداد ، يقال أسررتُ الشيء ، إذا أخفيته ، وأسررته إذا أظهرته ، قال الله عز وجل : ((وأسروا النجوى الذين ظلموا)) –سورة الأنبياء / آية ٣ معناه وأظهروا النجوى ذكر ذلك أبو عبيدة ، وأحتج بقول الشاعر :

ولما رأى الحجاج جرد سيفه أسرَّ الحروري الذي كان أضمر

معناه : أظهر الحروري ، وقال أبو عبيدة في قول الله عز ذكره : ((وأسروا الندامة لما رأوا العذاب)) – سورة يونس / آية ٥٤ ،سورة سبأ / آية ٣٣ ، معناه وأظهروا الندامة ، وكان الفراء يذهب إلى أن المعنى وأخفوا الندامة من السفلة الذين أضلوهم " [٥].

وجاء في اللسان " وأسرَّ الشيء كتمه وأظهره وهو من الأضداد ، سررته كتمته ، وسررته أعلنته ، والوجهان جميعاً يفسران في قوله تعالى : " وأسروا الندامة " قيل : أظهروها وقال ثعلب : معناه أسروها من رؤسائهم ، قال ابن سيدة : والأول أصح . قال الجوهري : وكذلك في قول امرئ القيس : لو يسرون مقتلي ، قال وكان الأصمعي يرويه : لو يشرون بالشين معجمة ، أي يظهرون "[٦].

---

[١] . ينظر : العمدة :٢/ ١٣٥ .
[٢] . العمدة: ٢ /١٣٥ .
[٣] . الديوان : ١٣ .
[٤] - ينظر الديوان : ٥٣ ، برواية الحضرمي .
[٥] . شرح القصائد السبع: ٤٩ ، وينظر : مجاز القرآن: ١٧٣ .
[٦] . لسان العرب: ١٩٨٩/٣ .

فاستعمال امرئ القيس لهذه الكلمة التي تدل على معنيين مختلفين من دون أن تكون هناك قرينة تحدد أحدهما كان سبباً في تعدد القراءة واحتمالات المعنى .

وقد استعمل امرؤ القيس مصدر هذه المادة في غير معلقته وهو قوله :

فَلَها مُقَلَّدُها ومُقْلَتُها وَلَها عليهِ سَرَارةُ الفَضْلِ [١]

والمراد بالسرارة هنا كنه الفضل وأصله ، فسر كل شيء أصله ، وهو أحد المعاني المتعددة لهذه الكلمة . جاء في اللسان أيضاً : " فإنه وصف جارية شبهها بظبية ومقلة ، ثم جعل لها الفضل على الظبية في سائر محاسنها ، أراد بالسرارة كنه الفضل "[٢].

ومن هذه الأبيات أيضا قوله :

تَصُدُّ وتُبْدِي عن أسِيلٍ وتَّتقِي

بِناظرةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ[٣]

إذ أشكل قوله : (بناظرة من وحش وجرة مطفل) على كثير من اللغويين و السبب في ذلك طريقة الصياغة التي جاء عليها البيت فذهب البعض كالحسن بن كيسان إلى أن تقديره : " وتتقي بناظرة مطفل ، كأنه قال : بناظرة مطفل من وحش وجرة ، ثم غلط فجاء بالتنوين ، كما قال الآخر :

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

فتقديره : رحم أعظم طلحة فغلط فَنوّن ، ثم أعرب طلحة بإعراب أعظم ، والأجود إذا فرق بين المضاف والمضاف إليه ألاَّ ينون كما قال :

كأن أصوات من إيغالهنَّ بنا أواخر الميس أصوات الفراريجِ

– إذ فصل بين المضاف (أصوات) وبين المضاف إليه (أواخر) الجار والمجرور (من إيغالهن بنا) – كأنه قال : كأنَّ أصوات أواخر الميس ، أصوات الفراريجِ " [٤].

واختار أبو جعفر النحاس تفسيراً آخر فذهب إلى أن التقدير : " بناظرة من وحش وجرة ناظرة مطفل ، ثم يحذف ناظرة ويقيم مطفلاً مقامه ، على قوله عز وجل :((وأسال القرية)) سورة يوسف / آية ٨٢ وكذا قوله : طلحة الطلحات ، ثم حذف أعظماً وأقام طلحة مقامه " [٥]

---

[١] . الديوان : ١٣٠ ، نسخة الدكتور عمر فاروق الطبّاع ، ولم أجده في نسخة أبو الفضل إبراهيم .
[٢] . لسان العرب: ١٩٩٠/٣ .
[٣] . الديوان : ١٦ .
[٤] . شرح القصائد المشهورات :٢٢-٢٣ ، وينظر شرح الأشعار الستة :١/ ٨٧-٨٨ .
[٥] . شرح القصائد المشهورات: ٢٣.

التفسيران كليهما له أمثلة وشواهد في استعمال العرب وما نقل من كلامهم ، وطريقة الصياغة اللغوية للبيت تجعل من كلا التفسيرين أمراً محتملاً ، وبيت امرئ القيس هذا من الأبيات التي عنى بها اللغويون والنحاة والأدباء ، وتعرضوا لها بالنقد والتفسير [١].

ومنها أيضا قوله :

كبِكْرِ مُقَانَاةِ البياضِ بصُفرةٍ غَذاها نَميرُ الماءِ غيرَ المُحللِ[٢]

إذ اختلف في تفسير قوله : (كبكر مقاناة البياض بصفرة) فقيل أن المعنى : " كبيضة بكر البيض التي قوني بياضها بصفرة فلما نقلت المقاناة عن لفظ البياض إلى البيض أُنث وأضيف إلى البياض ، كما تقول : مررتُ بالمرأة الحسن وجهها ، فتذكر الحسن لأنه للوجه ، فإذا نقلته عن الوجه إلى المرأة أنثته فقلت : مررتُ بالمرأة الحسنة وجهها "[٣].

ويذهب أبو عبيدة إلى أن المعنى : " كبردية بكر البردي ، والمقاناة الممتزجة البياض بصفرة ، وقال : البكر الدرة التي لم تثقب " [٤].

وقد لا يخلو القولان كليهما من الانطباعات والأحكام الذاتية التي فسح المجال لها عدم ذكر المقصود بقوله (مقاناة) ، أو ذكر قرينة تدل عليه ، الأمر الذي علق معنى البيت على فهم سامعه .

كما أشكل أيضاً قوله (انجلي) من البيت :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلِي

بصبحٍ وما الإصباحُ فيكَ بَأمثَلِ [٥]

يقول أبو بكر الأنباري : " وموضع انجلي جزم على الأمر ، علاقة الجزم فيه سكون اللام في الأصل ، ثم احتاج إلى حركتها بصلة لها ليستوي له وزن البيت ، فكسرها ووصل الكسرة بالياء ، قال الفراء : العرب تصل الفتحة بالألف والكسرة بالياء والضمة بالواو ، ومن ذلك قول الله عز وجل : ((سنقرؤك فلا تنسى)) – سورة الأعلى / آية ٦ وموضع تنسى جزم بلا على النهي والألف صلة لفتحة السين " [٦].

---

١ . ينظر مثلاً : شرح الأشعار الستة :١/ ٨٧-٨٨ ، وشرح القصائد العشر: ٥٠١ . وشرح ابن الناظم :٢٨٩-٢٩٣ ، وضرائر الشعر: ١٩٤ وما بعدها . وشرح ابن عقيل: ٨٢/٢-٨٦ وغيرها .

٢ . الديوان : ١٦ .

٣ . شرح القصائد السبع: ٧١ .

٤ . شرح القصائد السبع: ٧٢ .

٥ . الديوان : ١٨ .

٦ . شرح القصائد السبع :٧٨ .

والظاهر أن هذا الاستعمال لغة من لغات العرب ، ذهب إلى هذا غير واحد من اللغويين والنحويين ، يقول الفراء معلقاً على قراءة يحيى بن وثاب وحمزة ((لا تخاف دركاً ولا تخشى)) – سورة طه / آية ٧٧ بإثبات الألف في تخشى : " إن شئت جعلت (تخشى) في موضع جزم وان كانت فيها الياء لأن من العرب من يفعل ذلك قال بعض بني عبس وهم من قيس :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبونُ بني زياد

فأثبت الياء في (يأتيك) وهي في موضع جزم ، لأنه رآها ساكنة فتركها على سكونها كما تفعل بسائر الحروف "[١].

ووفقاً لهذا يكون (انجلي)مجزوماً بالسكون على الأصل ، بدلاً من حذف حرف العلة .

ولم يخرج رأي ابن جني عن كون هذا الاستعمال لغة من لغات العرب غير أنه يذهب إلى أن هذا من قبيل إشباع الحركة فتصبح حرفاً من جنسها [٢].

وهناك من يذهب إلى أن هذا الاستعمال ضرورة شعرية [٣].ولهذه المسألة شواهد من القراءات والشعر والنثر تنظر في موضعها [٤].

ومن الواضح أن سبب الإشكال في البيت هو اللجوء إلى لغة غير شائعة فقوله (انجلي) يحتمل الجزم بالسكون على الأصل ، ويحتمل أن يكون من قبيل إشباع الحركة وكلاهما لغة غير شائعة الاستعمال .

ومن هذه الأبيات قوله :

فأدبْرن كالجَزْع المفصَّلِ بينَه بجِيدٍ مُعَمٍّ في العَشيرةِ مُخْوَلِ [٥]

إذ ذُكِر في قوله (الجزع) معان عدة منها : " أدبرن يبرقن كما يبرق الجزع الذي جعل بينه ما يفصله أي أنهن متفرقات " [٦].

وقيل انه (خرز) فيه بياض وسواد فالوسط أبيض والطرفان أسودان إلى الطول وذلك أن البقر بيض إلا القوائم والخدود [٧].

وقال البعض كأنها قلادة فيها خرز وقد فصل بينه بالخرز [٨].

---

١ . معاني القرآن :١٦١/١

٢ . ينظر : الخصائص :١٢٣/٣-١٢٦ وشرح القصائد السبع: ٧٨ .

٣ . ينظر : ضرائر الشعر: ٤٦.

٤ . ينظر : الكتاب :٣١٦/٣ ، ومعاني القرآن: ١٦١/١-١٦٢ ، والخصائص: ٣/ ١٢٣-١٢٦ .

٥ . الديوان: ٢٢ .

٦ . شرح القصائد السبع: ٩٤ .

٧ . ينظر شرح القصائد السبع :٩٤ .

٨ . ينظر شرح القصائد السبع :٩٤ .

وفي لسان العرب أن الجَزع والجزع : " ضرب من الخرز ، وقيل هو الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين قال امرؤ القيس :

كأن عيون الوحش حول ضبائنا

وأرحلنا الجزع الذي لم يثقبِ

واحدته (جَزعة) قال ابن برَّيّ : سمي جزعاً لأنه مجزع أي مقطع بألوان مختلفة أي قطع سواده ببياضه وكأن الجزعة مسماة بالجزعة المرة الواحدة من جزعت"[١].

وتعدد معاني هذه الكلمة التي يراد بها تارة الخرز عموماً أو العقد أو الخرز اليماني الذي فيه بياض وسواد تارة أخرى هو السبب في اختلاف تفسير البيت أو تحديد وجه الشبه بين المشبه والمشبه به وهو العقد أو الخرز والأبقار ذات اللون الأبيض والأسود ، لاسيما مع عدم وجود القرينة التي تحدد المعنى المراد ، وقد يكون بعض هذه المعاني نتيجة للتطور الدلالي لهذه الكلمة واكتسابها معانيَ جديدة مغايرة لمعناها الأول .

ومما أشكل أيضا قوله :

وظَّل طُهَاةُ اللَّحم مِنْ بينِ مُنْضِجٍ صَفيفَ شِواءٍ أو قَدِيرٍ معجَّلِ[2]

وذلك أنه خفض (قدير) وهو معطوف على (صفيف) المنصوب ، وقوله هذا أشكل على كثير من النحويين وذهبوا فيه إلى أقوال عدة منها :

"أن يكون معطوفاً على صفيف فلما تباعد ما بينهما وكان ما قبله مخفوضاً غلط فخفضه " [٣]

[٣]

وهناك من يرى " إنه كان يجوز أن يقول من بين منضج صفيف شواءٍ ، فحمل (قديراً) على (صفيف) لو كان مخفوضاً ، وشرح هذا أنك إذا عطفت اسماً على اسم ، وكان يجوز لك في الأول إعرابان فأعربته بأحدهما ، ثم عطفت الثاني عليه جاز لك أن تعربه بما كان يجوز في الأول . فتقول : هذا ضاربُ زيدٍ وعمروٍ ، وإن شئت قلت : هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً ، لأنه كان يجوز لك أن تقول : هذا ضاربٌ زيد وعمراً ، وكذلك تقول : هذا ضاربٌ زيداً وعمراً ، وإن شئت قلت : هذا ضاربُ زيدٍ وعمروٍ ، فهذا يجيء على مذهب سيبويه وأنشد :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً

ولا ناعباً إلا ببينٍ غرابُها[١]

---

[١] . لسان العرب :١ / ٦١٧ .

[٢] . الديوان: ٢٢ .

[٣] . شرح القصائد المشهورات١/٤٢ ، وينظر شرح الأشعار الستة ١: /١٠٦ .

ويذكر أبو جعفر النحاس أن هذا قول أكثر أهل اللغة ، وقد أجاز مثله سيبويه ، ويذكر أيضا أن المازني والمبرد لا يجيزان هذه الرواية والرواية عندهما ولا ناعباً ، لا يجوز أن يضمر الخافض لأنه لا ينصرف وهو من تمام الاسم [٢].

ومذهب أبي جعفر النحاس في هذا " أن قديراً معطوف على منضج بلا ضرورة والمعنى من بين قديرٍ والتقدير : من بين منضج قديرٍ ثم حذف منضجاً وأقام قديراً مقامه في الإعراب كما قال جل وعز " واسأل القرية " – سورة يوسف /آية ٢٥ " [٣].

ومن الواضح أن طريقة بناء البيت وصياغته اللغوية تسببت بعدم وضوح المراد ، وأدت إلى غموض المعنى ، الأمر الذي فسح المجال أمام التأويلات والتقديرات .

هذه هي أهم أبيات المعلقة التي انتابها الإشكال وتعددت قراءتها ، وإذا أردنا أن نجمل الأسباب التي تقف وراء ذلك وجدناها تنحصر في تعدد الروايات للبيت الواحد ، و طريقة الصياغة اللغوية التي عمد إليها الشاعر ، وكذلك التصرف بالكلام بالحذف والاختصار ، وفي أحيان أخرى كان السبب في احتمالات المعنى وتعدد القراءة لجوء الشاعر إلى مفردة تدل على أكثر من معنى من دون ذكر قرينة تحدد المعنى المقصود وبعض هذه المفردات يدل على معنيين متناقضين وهو ما أصطلح عليه بـ (الأضداد) ويمكن أن نضيف إلى ما سبق لجوء الشاعر إلى لغة من اللغات تخالف الاستعمال الشائع والغالب ، ولاشك في أن هذا يفتح الباب أمام التأويلات والتقديرات لاسيما إن كانت الكلمة المستعملة تحتمل أكثر من لغة واحدة .

---

[١] . شرح القصائد المشهورات :٤٢/١ ، وينظر الكتاب :١/ ١٦٥، ٣٠٦ ، ٢٩/٣ .

[٢] . ينظر : شرح القصائد المشهورات :٤٢/١ .

[٣] . شرح القصائد المشهورات :٤٢/١ .

مصادر البحث:

القرآن الكريم

١-الأسلوبية والأسلوب : عبدالسلام المسدي / الدار العربية للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٨ م.

٢-البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبدالمطلب ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

٣-الحصائص:لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) .تحقيق محمد علي النجار ، طبعة وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد /١٩٩٠م .

٤-دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر / مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

٥-ديوان امرئ القيس ابن حجر الكندي (ت ٥٤٠ م) بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي (ت ٦٠٩ هـ) ، قدم له وحققه الدكتور أنور أبو سويلم والدكتور علي الهروط ،وساعد في تحقيقه د. علي الشوملي ، نشر بدعم من جامعة مؤتة ، دار عمار، (د. ت)

٦-ديوان امرئ القيس ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم ، بيروت – لبنان ، (د. ت)

٧-ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعارف،مصر، ط٥،(د . ت) .

٨-شرح الأشعار الستة الجاهلية ج١ (لأبي بكر البطليوسي ت ٤٩٤هـ) تحقيق نصيف سليمان عواد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٩-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : (بهاء الدين ابن عقيل ت ٧٦٩ هـ) ، دار الفكر ، بيروت .

١٠-شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : (لأبي بكر الأنباري ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

١١-شرح القصائد المشهورات : (لأبي جعفر النحاس ت ٣٣٨هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٠م .

١٢-ضرائر الشعر : (ابن عصفور الاشبيلي ت ٦٦٩هـ) تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٠ م .

١٣-العمدة في محاسن الشعر وآدابه (لأبن رشيق القيرواني ت ٤٥٦هـ) تحقيق محمد عبدالقادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م .

١٤-الكتاب : (أبو بشر سيبويه ت ١٨٠هـ) تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧ / ١٩٧٧

١٥-لسان العرب : (ابن منظور ت ٧١١هـ) ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة .
١٦-اللغة العربية معناها ومبناها : د . تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٤م ،١٤٢٥هـ .
١٧-مجاز القرآن : (أبو عبيدة التميمي ت ٢١١هـ) تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ / ٢٠٠٦م / ١٤٢٧هـ .
١٨-المزهر في علوم اللغة وأنواعها (جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ) ، دار إحياء الكتاب العربي ، عيسى البابي الحلبي وشركائه ، مصر – القاهرة .
١٩-معاني القرآن : (أبو زكريا الفراء ت ٢٠٧ هـ) عالم الكتب ، بيروت ١٩٥٥هـ .
٢٠-مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة . د. نعمة رحيم العزاوي ، منشورات المجمع العلمي – بغداد ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .
٢١-الموازنة بين أبي تمام والبحتري (أبو القاسم الآمدي ت ٣٧٠هـ) قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ / ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ .